

من شأن الملك المطاع واللام للاختصاص أى الامر له تعالى لانفيره سبحانه لا شركة ولا استقلال أى ان التصرف جميعه في قبضة قدرته عز وجل لا غير وفي تحقيق قوله تعالى لانملك نفس انفس شيئاً لدالته على ان السكل مسوسون مطيعون مشتغلون بحال انفسهم مقهورون بمبوديتهم لسلطات الربوبية وقيل واحد الامور اعنى الشأن وليس بذلك وقول قتادة فيما أخرجه عنه عبد بن حميد وابن المنذر أى ليس ثم أحد يقضى شيئاً ولا يصنع شيئاً غير رب العالمين تفسير لحاصل المعنى لا ايتار لذلك هذا وقوله وحده ليس بحجة يترك له الظاهر والمنازعة في الظهور مكاربة وأياما كان فلا دلالة في الآية على نفي الشفاعة يوم القيامة كما لا يخفى والله تعالى أعلم

سورة التطفيف

ويقال لها سورة المطففين واختلاف في كونها مكية أو مدنية فمن ابن مسعود والضحاك انها مكية وعن الحسن وعكرمة انها مدنية وعليه السدي قال كان بالمدينة رجل يكنى أبا جهينة له مكيان يأخذ بالآوفي ويمطى بالانقص فنزلت وعن ابن عباس روايات فأخرج ابن الضريس عنه أنه قال آخر ما نزل بمكة سورة المطففين وأخرج ابن مردويه والبيهقي عنهما قال أول ما نزل بالمدينة ويل للمطففين ويؤيد هذه الرواية ما أخرجه النسائي وابن ماجه والبيهقي في شعب الايمان بسند صحيح وغيرهم عنه قال لما قدم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة كانوا من اخبت الناس كيلا فانزل الله تعالى ويل للمطففين فاحسنوا الكيل بعد ذلك وفي رواية عنه أيضا وعن قتادة انها مكية الايمان آيات من آخرها ان الذين أجزموا الحج وقيل انها مدنية الاست آيات من أولها وبعض من ثبت الوسطة بين المكي والمدني يقول انها ليست أحدها بل تزلت بين مكة والمدينة ليصلح الله تعالى أمر أهل المدينة قبل ورود رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عليهم وآبهاست وثلاثون بلاخلاف والمناسبة بينها وبين ما قبلها انه سبحانه لما ذكر فيما قيل السعداء والاشقياء ويوم الجزاء وعظم شأنه ذكر عز وجل هنا ما أعد جل وعلا لبعض العصاة وذكره سبحانه بأخس ما يقع من المعصية وهو التطفيف الذي لا يكاد يجدى شيئاً في تدمير المال وتميته مع اشتغال هذه السورة من شرح حال المكذبين المذكورين هناك على زيادة تفصيل كما لا يخفى وقال الجلال السيوطي الفصل بهذه السورة بين الانفطار والانشقاق التي هي نظيرتها من أوجه لكتبة لطيفة ألهمها الله تعالى وذلك ان السور الاربعة هذه والسورتان قبلها والانشقاق لما كانت في صفة حال يوم القيامة ذكرت على ترتيب ما يقع فيه فعالب ما وقع في التكوير وجميع ما وقع في الانفطار يقع في صدر يوم القيامة ثم بعد ذلك يكون الموقف الطويل ومقاساة الاحوال فذكر في هذه السورة بقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين ثم بعد ذلك تحصل انشفاعة العظمى فننشر الصحف فأخذ باليمين وأخذ باليسار وآخذ من وراء ظهره ثم بعد ذلك يقع الحساب كما ورد بذلك الآثار فناسب تأخر سورة الانشقاق التي فيها ايتاء الكتب والحساب عن السورة التي فيها ذكر الموقف والسورة التي فيها ذكره عن السورة التي فيها ذكر مبادئ احوال اليوم ووجه آخر وهو أنه جل جلاله لما قال في الانفطار وان عليكم لحافظين كراما كاتبين وذلك في الدنيا ذكر سبحانه في هذه حال ما يكتبه الحافظون وهو مرقوم يجعل في عليين أو سجين وذلك أيضا في الدنيا كما ندل عليه الآثار فهذه حالة ثانية للكتاب ذكرت في السورة الثانية وله حالة ثالثة متأخرة عنهم وهي ايتاؤه صاحبسه باليمين أو غيرها وذلك يوم القيامة فناسب تأخير السورة التي فيها ذلك عن السورة التي فيها الحالة الثانية انتهى وهو وان لم يدخل عن لطافة للبحث فيه مجال فتذكر

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * وَبَلِّغْ لِلْمُطْمَئِنِّينَ) قيل الويل شدة الشر وقيل الحزن والهلاك وقيل العذاب الاليم وقيل جبل في جهنم وأخرج ذلك عن عثمان مرفوعا ابن جرير بسند فيه نظر وذهب كثير الى أنه واد في جهنم فقد أخرج الامام أحمد والترمذي عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ويل واد في جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره وفي صحيح ابن حبان والحاكم بلفظ واد بين جبلين يهوى فيه الكافر الخ وروى ابن أبي حاتم عن عبد الله انه واد في جهنم من قبيح وفي كتاب المفردات للراغب قال الاصمعي ويل قروح وقد يستعمل للتحسر ومن قال ويل واد في جهنم لم يرد أن ويلافي اللفظة موضوع لهذا وإنما أراد من قال الله تعالى فيه ذلك فقد استحق مقرا من النار وثبت ذلك له انتهى والظاهر ان اطلاقه على ذلك كاطلاق جهنم على ما هو المعروف فيها فلينظر من أى نوع ذلك الاطلاق وأيا ما كان فهو مبتدا وان كان نكرة لوقوعه في موقع الدعاء والمطففين خبره والتطيفي بخش في الكيل والوزن لما أن ما يخس في كيل أو وزن واحد شيء طفيف أى تر حقيير والتفيل فيه التعدية أو للتكثير ولا ينافي كونه من الطفيف بالمضى المذكور لان كثرة الفعل بكثرة وقوعه وهو بتكراره لا بكثرة متعلقه وعن الزجاج انه من طف الشيء جانبه وقوله تعالى (الَّذِينَ إِذَا اٰكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ) الخ صفة مخصوصة للمطففين الذين نزلت فيهم الآية أو صفة كاشفة لحالم شارحة لكيفية تطفيهم الذي استحقوا به الويل أى اذا اخذوا من الناس ما أخذوا بحكم الشراء ونحوه كيلا يأخذونه وافيا وافرا وتبديل كلمة على هنا بمن قيل لتضمن الاكتيال معنى الاستيلاء أو للاشارة الى انه اكتيال مضر للناس لاعلى اعتبار الضرر من حيث الشرط الذى يتضمنه اذا لا خلاله بالمعنى بل في نفس الامر بموجب الجواب بناء على ان المراد بالاستيفاء ليس أخذ الحق وافيا من غير نقص بل مجرد الأخذ الوافي الوافر حسبما أرادوا بأى وجه يتيسر من وجوه الحيل وكانوا يفعلونه بكبس المكيل واعدة المكيل الى غير ذلك وقيل ان ذلك لا اعتبار أن اکتيالهم لهم من الحق على الناس فمن الفراء ان من وعلى بمقتبان في هذا الموضع فيقال اکتلت عليه أى أخذت ما عليه كيلا واكتلت منه أى استوفيت منه كيلا وتمقب بانه مع اقتضائه لعدم شمول الحكم لاكتيالهم قبل ان يكون لهم على الناس شيء بطريق الشراء ونحوه مع انه الشائع فيما بينهم يقتضى ان يكون معنى الاستيفاء أخذ ما لهم على الناس وافيا من غير نقص اذ هو المتبادر منه عند الاطلاق في معرض الحق فلا يكون مدارا لثمهم والدعاء عليهم وحمل ما لهم عليهم على معنى ماسيكون لهم عليهم مع كونه بعسدا جدا مما لا يجدى نفعا فان اعتبار كون المكيل لهم حالا كان أو ما لا يستدعى كون الاستيفاء بالمعنى المذكور حتما انتهى (وأقول) ان قطع النظر عن كون الآية نازلة في مطففين صفتهم أخذ مكيل الناس اذا اکتالوا وافرا حسبما يريدون فلا بأس بحملها على ما يدل على أن المأخوذ حق حالا أو ما لا وكون المتبادر حينئذ من الاستيفاء أخذ ما لهم وافيا من غير نقص مسلم لكنه لا يضر قوله فلا يكون مدارا لثمهم والدعاء عليهم قانا مدار الثم ماتضمنه مجموع المتماطفين والكلام كقولك فلان يأخذ حقه من الناس تاما ويعطيه حقه ناقصا وهي عبارة شائعة في الذم بل الذم بها شد من الذم بنحو يأخذنا نقصا ويعطى ناقصا وكونه دون الذم بنحو قولك يأخذنا ذمنا ويعطى ناقصا لا يخفى ثم قد يقال إن الاغلب في اکتيال الشخص من شخص كون المكيل حقا له بوجه من الوجوه ولعل معنى كلام الفراء على ذلك فتأمل وجوز على أن تكون على متعلقة يستوفون ويكون تقديمها على الفعل لا فائدة الخصوصية أى يستوفون على الناس خاصة فاما أنفسهم فيستوفون لها وتمقب بأن القصر بتقديم الجار والمجرور انما يكون فيما يمكن تعلق الفعل بغير المجرور أيضا حسب تعلقه به فيقصد

بالتقديم قصره عليه بطريق القلب أو الافراد أو التعيين حسبما يقتضيه المقام ولا ريب في أن الاستيفاء الذي هو عبارة عن الأخذ الوافي مما لا يتصور ان يكون على أنفسهم حتى يقصد بتقديم الجار والمجرور قصره على الناس على أن الحديث واقع في الفعل لا فيما وقع عليه انتهى وأجيب بان المراد بالاستيفاء المعنى بعلى على ذلك الاضرار فكأنه قيل اذا اکتالوا يضررون الناس خاصة ولا يضررون أنفسهم بل ينفعونها والقصر بطريق القلب والاضرار مما يمكن أن يكون لانفسهم كما يمكن أن يكون للناس وان كان مابه الاضرار مختلفاً حيث أن اضرارهم أنفسهم باخذ الناقص واضرارهم الناس باخذ الزائد ثم أن خصوصية ما وقع عليه الفعل هو مدار الذم والدعاء بالويل وبه يجاب عما في حيز الملاوة انتهى ولا يخفى ما فيه فتدبر والضمير المنفصل في قوله تعالى (وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) للناس وما تقدم في الاخذ من الناس وهذا في الاعطاء فالمنى واذا كالوا لهم أو وزنوا لهم للبيع ينقصون وكال تستعمل مع المكيل باللام وبدونه فقد جاء في اللغة على ما قيل كال له وكاله بمعنى كال له وجعل غير واحد كاله من باب الحذف والايصال على ان الاصل كال له فحذف الجار وأوصل الفعل كما في قوله

ولقد جنيتك اكلوا وعساقلنا * ولقد نهيتك عن نبات الاوبر

وقولهم في المثل الحر يصيبك لا الجواد اى جنيت لك ويصيدك وجوز أن يكون الكلام على حذف المضاف وهو مكيل وموزون (١) واقامة المضاف مقامه والاصل واذا كالوا كيلهم أو وزنوهم وعن عيسى بن عمر وحجة ان المكيل له والموزون له محذوف وهم ضمير مرفوع تأكيد للضمير المرفوع وهو الواو وكانا يقفان على الواو بن وقيفة بينان بهما ارادوا وقال الزمخشري لا يصح كون الضمير مرفوعاً للمطففين لانه يكون المعنى عليه اذا أخذوا من الناس استوفوا واذا تولوا الكيل أو الوزن هم على الخصوص اخسروا وهو كلام متنافر لان الحديث واقع في الفعل لافي المباشر وذلك على ما في الكشف لان التاكيد اللفظي يدفعه المقام فليس المراد ان يحقق ان الكيل صدر منهم لا من عبيدهم مثلاً والتقوى وحده يدفعه ترك الفاء في جواب اذا لان الفصح اذ ذلك فهم يخسرون فيعين الحمل على التخصيص ويظهر العذر في ترك الفاء اذا المعنى لا يخسر الا هم ويلزم التنافر وفوات المقابلة هذا وهم أولاً في كالوهم مانع من هذا التقدير اشد المنع والحمل على حذف الحرف من احدها وهو شطر الجزاء لانظير له وقيل انه يبعد كون الضمير مرفوعاً عدم اثبات الالف بعد الواو وقد تقرر في علم الحظ اثباتها بعدها في مثل ذلك وجرى عليه رسم المصحف العثماني في نظائره وكونه هنا بالخصوص مخالفاً لما تقرر ولما سلك في النظائر بعيد كما لا يخفى ولعل الاقتصار على الاكتيال في صورة الاستيفاء وذكر الكيل والوزن في صورة الاخسار ان المطففين كانوا لا يأخذون ما يكال ويوزن الا بالكيل دون الموازين لتمكنهم بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة واذا أعطوا كالوا ووزنوا لتمكنهم من البخس في النوعين جميعاً والحاصل انه انما جاء النظم الجليل هكذا لطابق من نزل فيهم فالصفة تنمى عليهم ما كانوا عليه من زيادة البخس والظلم وهذا صحيح جملة السفة مخصصة لهؤلاء المطففين كما هو الاظهر أو كاشفة لحالهم فقد أريد بالاول معهود ذهني وقال شيخ مشايخنا العلامة السيد صبغة الله الحيدري في ذلك ان التطفيف في الكيل يكون بشئ قليل لا يعبا به في الاغلب دون التطفيف في الوزن فان أدنى حيلة فيه يفضى الى شئ كثير وأيضاً الغالب فيما يوزن ماهو أكثر قيمة مما يكال فاذا اخبرت الآية بانهم لا يقنون على الناس ماهو قليل ميهن من حقوقهم علم انهم لا يقنون عليهم الكثير الذي لا يتسارع به أكثر الناس بل أهل المردآت أيضاً الا نادراً بالطريق الاولي بخلاف ما اذا

(١) قوله واقامة المضاف إلى قوله أو وزنوهم هكذا بخط المؤلف ولعل فيه سقطاً من قلعه اه

ذكر أنهم يخسرون الناس بالاشياء الجزئية كما يفهم من ذكر الاخسار في الكيل فانه لا يسلم منه انهم يخسرونهم بالشئ الكثير أيضا بل ربما يتوهم من تخصيص الجزئية بالذكر انهم لا يتجرؤن على اخسارهم بكليات الاموال فلا بد في الشق الثاني من ذكر الاخسار في الوزن أيضا فتكون الآية منادبة على ذميم أفعالهم ناعية عليهم بشذيع أحوالهم انتهى وتعقب بانه لا يحسم السؤال لجوازن يقال لم يقل اذا اكلوا على الناس يستوفون واذا وزنهم يخسرون ليعلم من القريبتين انهم يستوفون الكثير ويخسرون بالنزر الحقيق بالطريق الاولى ويكون في الكلام ماهو من قبيل الاحتمالك وقال الزجاج المعنى اذا اكلوا من الناس استوفوا عليهم الكيل وكذلك اذا اتزنوا استوفوا الوزن ولم يذكر اذا اتزنوا لان الكيل والوزن بهما الشراء والبيع فيما يسكال ويوزن ومراده على مانص عليه الطيبي انه استغنى بذكر احدي القريبتين عن الاخرى للدلالة القرينة الآتية عليها وهو كما ترى وقيل ان المطففين باعة وهم في الغالب يشترون الشئ الكثير دفعة ثم يبيعونه متفرقا في دفعات وهم قدرأينا منهم من يشتري من الزراعين مقدارا كثيرا من الحبوب مثلا في يوم واحد فيدخره ثم يبيعه شيئا فشيئا في أيام عديدة ولما كانت العادة الغالبة أخذ الكثير بالكيل ذكر الا كيبال فقط في صورة الاستيفاء ولما كان ما يبيعونه مختلفا كثرة وقلة ذكر الكيل والوزن في صورة الاعطاء أولا كان اختيار ما به تعيين المقدار مفوضا الى رأى من يشتري منهم ذكرا معا في تلك الصورة اذ منهم من يختار الكيل ومنهم من يختار الوزن وأنت تعلم ان كون العادة الغالبة أخذ الكثير في الكيل غير مسلم على الاطلاق ولعله في بعض المواضع دون بعض وأهل بلدنا مدينة السلام اليوم لا يكتبون ولا يكتبون أصلا وإنما عادتهم الوزن والاتزان مطلقا وعدم التعرض للكيل والموزون في الصورتين على ما قال غير واحد لان مساق الكلام لبيان سوء معاملة المطففين في الأخذ والاعطاء لا في خصوصية المأخوذ والمعطى ﴿الَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ استئناف وارد لتحويل ما ارتكبوه من التطفيف والهمزة للانكار والتعجب ولا نافية فليست ألهذه الاستفاحية أو التنبهية بل مركبة من همزة الاستفهام ولا النافية والظن على معناه المعروف وأولئك اشارة الى المطففين ووضعه موضع ضميرهم الاشمار بنطاق الحكم الذي هو وصفهم فان اشارة الى الشئ متعرضة له من حيث اتصافه بوصفه وأما الضمير فلا يتعرض للوصف وللإيدان بانهم يمتازون بذلك الوصف القبيح عن سائر الناس أكل امتياز نازلون منزلة الامور المشار اليها اشارة حسية وما فيه من معنى البعد للاشعار ببعدهم في الشرارة والفساد أي الأيظن أولئك الموصوفون بذلك الوصف الشنيع الهائل انهم مبعوثون ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ لا يقدر قدر عظمه فان من يظن ذلك وان كان ظنا ضعيفا لا يكاد يتجاسر على أمثال هذه القبايح فكيف بمن يتقنه ووصف اليوم بالمعظم لمعظم ما فيه كما أن جملة علة للبعث باعتبار ما فيه وقدر بعضهم مضافا أي لحساب يوم وقيل الظن هنا بمعنى اليقين والاول أولى وأبلغ وعن الزمخشري انه سبحانه جملة اسوأ حالا من الكفار لانه أثبت جل شأنه للكفار ظنا حيث حكى سبحانه عنهم إن نظن الاظنا ولم يثبت عز وجل لهم والمراد أنه تعالى تزلهم منزلة من لا يظن ليصح الانكار وقوله تعالى ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي لحكمه تعالى وقضائه عز وجل منصوب باضمار أعنى وجوز أن يكون معمولا بموتون أو مرفوع المحل خبرا لمبتدأ مضمرة أي هو أو ذلك يوم أو مجرور كما قال الفراهيدي من يوم عظيم وهو على الوجهين مبنى على الفتح لضافته الى الفعل وان كان مضارعا كما هو رأي الكوفيين وقد مر غير مرة ويؤيد الوجهين قراءة زيد بن علي يوم بالرفع وقراءة بعضهم كما حكى أبو معاذ يوم بالجرو في هذا الانكار والتعجب وايراد الظن والايان باسم الاشارة ووصف يوم قيامهم بالمعظمة وابدال يوم يقوم الخ لانه على القول به ووصفه

تعالى برؤية العالمين من البيان البليغ لعظم الذنب وتفانم الاثم في التطفيف مالا يخفى وليس ذلك نظرا الى
التطفيف من حيث هو تطفيف بل من حيث ان الميزان قانون العدل الذي قامت به السموات والارض فيعلم الحكم
التطفيف على الوجه الواقع من أولئك المطففين وغيره وصح من رواية الحاكم والطبراني وغيرهما عن ابن
عباس وغيره مرفوعا خمس بخمس قيل يارسول الله وما خمس بخمس قال مانقض قوم المهدي الا سبط
الله تعالى عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله تعالى الا فشافيم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا
فشا فيهم الموت ولا تطففوا الكيل الا نموا الثبات وأخذوا بالسنين ولا منموا الزكاة الا حبس عنهم
القطر وعن ابن عمر انه كان يمر بالبائع فيقول اتق الله اتق الله وأوف الكيل فان المطففين يوقفون يوم القيامة
لعظمة الرحمن حتى ان العرق ليلجمهم وعن عكرمة اشهد ان كل كيال ووزان في النار فقييل له ان
ابنك كيال ووزان فقال اشهد انه في النار وكأنه أراد المبالغة لما علم ان الغالب فيهم التطفيف ومن هذا
القييل ماروى عن أبي رضى الله تعالى عنه لا تلمس الحوائج ممن رزقه في رؤس المكاييل وألسن الموازين
والله تعالى أعلم واستدل بقوله تعالى يوم يقوم الخ على منع القيام للناس لاختصاصه بالله تعالى وأجاب عنه
الجلال السيوطى بانه خاص بالقيام للمرء بين يديه أما القيام له اذا قدم ثم الجلوس فلا وانت تعلم ان
الآية بمزل عن ان يستدل بها على ما ذكر ليحتاج الى هذا الجواب وأرى الاستدلال بها على ذلك من العجب
العجاب وقوله تعالى (كَذَّبَ) ردع عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن البعث والحساب (إن كتاب الفجار
لفى سجين) الخ تعاليل لردع أو وجوب الارتداع بطريق التحقيق وكتاب قيل بمعنى مكتوب أى ما يكتب
من أعمال الفجار لفي الخ وقيل مصدر بمعنى الكتابة وفي الكلام مضاف مقدر أى كتابة عمل الفجار لفي
الخ والمراد بالفجار هنا على ما قال أبو حيان الكفار وعلى ما قال غير واحد ما يعمهم والفسقة فيدخل
فيهم المطففون وسجين قيل صفة كسكير واختار غير واحد أنه علم لكتاب جامع وهو ديوان الشردون فيه أعمال
الفجرة من الثقلين كما قال تعالى (وما أدراك ما سجين كتاب مرقوم) فان الظاهر ان كتاب بدل من سجين
أو خبر مبتدأ محذوف هو ضمير راجع اليه أى هو كتاب وأصله وصف من السجن بفتح السين لقب به الكتاب لانه سبب
الحبس فهو في الاصل قيل بمعنى فاعل أو لانه ملقى كما قيل تحت الارضين في مكان وحش فانه مسجون فهو بمعنى مفعول
ولا يلزم على جملة علماء لما ذكر كون الكتاب طرفا للكتاب لما سمت من تفسير كتاب الفجار وعليه يكون
الكتاب المذكور طرفا للعمل المكتوب فيه أو طرفا للكتابة وقيل الكتاب على ظاهره والكلام نظير
أن تقول ان كتاب حساب القرية الفلانية في الدستور الفلاني لما يشتمل على حسابها وحساب أمثالها في أن
ظرفية فيه من ظرفية السكل للجزء وعن الامام لاستبعاد في أن يوضع أحدها في الآخر حقيقة أو ينقل
ما في أحدها للآخر وعن أبي على أن قوله تعالى كتاب مرقوم أى موضع كتاب فكتاب على ظاهره وسجين موضع
عنده ويؤيده ما أخرجه بن جرير عن أبي هريرة مرفوعاً أن الفلق جب في جهنم مغطى وسجين جب فيها مفتوح
وعليه يكون سجين لسر موضع في جهنم وجاء في عدة آثار أنه موضع تحت الارض السابعة ولا منافاة بين ذلك
وبين الخبر المذكور بناء على القول بان جهنم تحت الارض وفي الكشف لا يبعد أن يكون سجين علم الكتاب وعلم
الموضع أيضاً جمابين ظاهر الآية وظواهر الاخبار وبمض من ذهب الى أنه في الآية علم الموضع قال وما أدراك
سجين على حذف مضاف أى وما أدراك ما كتاب سجين وقال ابن عطية من قال بذلك فكتاب عنده مرفوع
على أنه خبر ان والظرف الذى هو لفي سجين ملئى وتعقب بأن الغاه لا يتسنى الا اذا كان معمولا للخبر
أعنى كتاب أو لصفته أعنى مرقوم وذلك لا يجوز لان كتاب موصوف فلا يعمل ولان مرقوم الذى هو

صفته لا يجوز ان تدخل اللام في معموله ولا يجوز أن يتقدم معموله على الموصوف وفيه نظر وقيل كتاب خبر ثان لان وقيل خبر مبتدا محذوف هو ضمير راجع الى كتاب الفجر ومناط الفائدة الوصف والجملة في الين اعتراضية وكلا القولين خلاف الظاهر وعن عكرمة ان سجين عبارة عن الحسار والهلوان كما تقول بلغ فلان الحضيض اذا صار في غاية التحول والكلام في وما أدراك الخ عليه يعلم مما ذكرنا وهذا خلاف المشهور وزعم بعض اللغويين ان نونه بدل من لام وأصله سجيل فهو كيرين في جبريل فليس مشتقا من السجن أصلا ومرقوم من رقم الكتاب اذا أعجمه وبينه لثلا يلغو أى كتاب بين الكتابة أو من رقم الكتاب اذا جعل له رقبا أى علامة أى كتاب معلم يعلم من رآه أنه لاخريفه وقال ابن عباس والضحاك مرقوم محتوم بلغة حمير وذكر بعضهم انه يقال رقم الكتاب بمعنى ختمه ولم يخصه بلغة دون لغة وفي البحر مرقوم أى مثبت كالرقم لا يلبى ولا يمحى وهو كما ترى وشاع الرقم في الكتابة قال أبو حيان وهو أصل معناه ومنه قول الشاعر

سأرقم في الماء القراح اليكم ^{تم} على بعدكم ان كان للماء راقم

وأما الرقم المعروف عند أهل الحساب فالظاهر انه بمعنى العلامة وخص بعلامة المدد فيما بينهم وقوله تعالى (وَبَلِّغْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ) متصل بقوله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين وما بينهما اعتراض والمراد للمكذبين بذلك اليوم فقوله تعالى (الَّذِينَ يُكذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ) اما مجرور على انه صفة ذامة للمكذبين أو بدل منه أو مرفوع أو منصوب على الذم وجوز أن يكون صفة كاشفة موضحة وقيل هو صفة مخصوصة فارقة على ان المراد المكذبين بالحق والاول أظهر لان قوله تعالى (وَمَا يَكْتُوبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ) الخ يدل على ان القصد الى المذمة أى وما يكذب بيوم الدين الاكل متجاوز حدود النظر والاعتبار غال في التقليد حتى جعل قدرة الله تعالى قاصرة عن الاعداد وعلمه سبحانه قاصراً عن معرفة الاجزاء المتفرقة التي لا بد في الاعداد منها فمد الاعداد محالة عليه عز وجل (أَيْمِينَ) أى كبير الأثام منهمك في الشهوات الخدجة الفانية بحيث شغلته عما وراها من الآيات انتماء الباقية وحملته على انكارها (إِذْ أَنْتَلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا) الناطقة بذلك (قَالَ) من فرط جهله واعراضه عن الحق الذى لا يحيد عنه (أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) أى هي عكايب الاولين بمعنى هي باطيل جاء بها الاولون وطول أمدا لاخبار بها ولم يظهر صدقها أو باطيل أنقت على آياتنا الاولين وكذبوها ولسنا أول مكذب بها حتى يكون التكذيب منا عجلة وخروجا عن طريق الحزم والاحتياط والاول أظهر والآية قيل نزلت في النضر بن الحرث وعن الكلبي أنها نزلت في الوليد بن المغيرة وأياما كان فالكلام على العموم وقرأ أبو حيوة وابن مقسم اذا تلى بتذكير الفعل وقرئ اذا تلى على الاستفهام الانكارى (كَلَّا) ردع للمعتدى الاثيم عن ذلك القول الباطل وتكذيب له فيه وقوله عز وجل (بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) بيان لما أدى بهم الى التفوه بتلك العظيمة أى ليس في آياتنا ما يصحح أن يقال في شأنها مثل تلك المقالة الباطلة بل ركب قلوبهم وغلب عليها ما استمروا على اكتسابه من الكفر والمعاصى حتى صار كالصدافى المرآة فخال ذلك بينهم وبين معرفة الحق فلذلك قالوا ما قالوا والرين في الاصل الصدا يقال ران عليه الذنب وغان عليه رينا وغنيا ويقال ران فيه النوم أى رسخ فيه وفي البحر أصل الرين الغلبة يقال رانت الحر على عقل شار بها أى غلبت وران الغشى على عقل المريض أى غلب وقال أبو زيد يقال رين بالرجل ران به رينا اذا وقع فيما لا يستطيع منه الخروج وأريد به حب المعاصى الراسخ بجامع أنه كالصداء المسود للمرآة والفضة مثلاً المغير عن الحالة الاصلية وأخرج

الامام احمد والترمذى والحاكم ومصححاه والنسائى وابن ماجه وابن حبان وغيرهم عن أبى هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ان العبد اذا أذنب ذنباً نكثت في قلبه نكتة سوداء فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه وان عاد زادت حتى تملو قلبه فذلك الران الذى ذكر الله تعالى في القرآن كلابل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وأخرج ابن المنذر وغيره عن مجاهد أنه قال كانوا يرون أن الرين هو الطبع وذكروا له أسبابا وفي حديث أخرجه عبد بن حميد من طريق خليل بن الحكم عن أبى الجيز أنه عليه الصلاة والسلام قال أربع خصال مفسدة للقلوب مجارة الاحق فان جاريتك كنت مثله وان سككت عنه سلمت منه وكثرة الذنوب مفسدة للقلوب وقد قال الله تعالى بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون والحلوة بالنساء والاستمتاع بهن والعمل برأيهن ومجالسة الموتى قيل يارسول الله من هم قال كل غنى قد أبطره غناه وقرىء بادغام اللام في الراء وقال أبو جعفر بن الباذش أجمعوا يعنى القراء على ادغام اللام في الراء الا ما كان من وقف حفص على بل وقفنا خفيفا يسيراً لتبيين الاظهار وليس كما قال من الاجماع فى اللوامح عن قالون من جميع طرقه اظهار اللام عند الراء نحو قوله تعالى بل رفعه الله اليه بل ربكم وفي كتاب ابن عطية وقرأ نافع بل ران غير مدغم وفيه أيضاً قرأتان أيضاً بادغام والامالة وقال سيدييه في اللام مع الراء نحو أشغل رحمه البيان والادغام حسنان وقال أيضاً فاذا كانت يعنى اللام غير لام التعريف نحو لام هل وبل فان الادغام أحسن فان لم ندغم فهى لغة لاهل الحجاز وهى عربية جائزة وفي الكشاف قرىء بادغام اللام في الراء وبالاظهار والادغام أجود وأميلت الالف ونحمت فليحفظ (كلاً) ردع وزجر عن الكسب الرائن أو بمعنى حقاً (إنهم) أى هؤلاء المكذبين (عن ربهم يومئذ كمنحجوبون) لا يرونه سبحانه وهو عز وجل حاضر ناظر لهم بخلاف المؤمنين فالحجاب مجاز عن عدم الرؤية لان المحجوب لا يرى ما حجب أو الحجب المنع والكلام على حذف مضاف أى عن رؤية ربهم لمنعون فلا يرونه سبحانه واحتج بالآية مالك على رؤية المؤمنين له تعالى من جهة دليل الخطاب والافلو حجب الكل لما أغنى هذا التخصيص وقال الشافعى لما حجب سبحانه قوما بالسخط دل على ان قوما يرونه بالرضا وقال أنس بن مالك لما حجب عز وجل أعداءه سبحانه فلم يروه تعجل جل شأنه لا لريائه حتى رأوه عز وجل ومن أنكر رؤيته تعالى كالمعتزلة قال ان الكلام تمثيل للاستخفاف بهم واهانتهم لانه لا يؤذن على الملوك الا لوجوه المكرمين لديهم ولا يحجب عنهم الا الاديان المهانون عندهم كما قال

(١) اذا اعتروا باب ذى عيبة رجبوا * والناس من بين مرجوب ومحبوب

أو هو بتقدير مضاف أى عن رحمة ربهم مثلاً لمحجوبون وعن ابن عباس وفتادة ومجاهد تقدير ذلك وعن ابن كيسان تقدير الكرامة لكنهم أرادوا عموم المقدر للرؤية وغيرها من الطافه تعالى والجار والمجرور متعلق بمحجوبون وهو العامل في يومئذ والتنوين فيه تنوين عوض والمعوض عنه هنا يقوم الناس السابق كأنه قيل أنهم لمحجوبون عن ربهم يوم اذ يقوم الناس لرب العالمين (ثم إنهم أوصالوا الجحيم) مقاسو حرها على ما قال الخليل وقيل داخلون فيها وثم قيل لتراخي الرتبة لكن بناء على ما عندهم فان صلى الجحيم عندهم أشد من حجابهم عن ربهم عز وجل وأما عند المؤمنين لا سيما الوالدين به سبحانه منهم فان الحجاب عذاب لا يبدانيه عذاب (ثم يقال) لهم تقراباً وتوبيخاً من جهة الحزنة أو أهل الجنة (هذا الذى كنتم به تكذبون)

(١) قوله اذا اعتروا الخ عراه واعتراه اذا غشيه وذى عيبة بضم العين وتشديد الباء الموحدة أى ملك

ذى كبر ورجبوا بالتخفيف أى عظموا اه منه

فذكروا عذابه ﴿كَلَّا﴾ تكرير الردع السابق في قوله تعالى كلا ان كتاب الفجار الخ ليعقب بوعد الابرار كما عقب ذلك بوعد الفجار اثمارة بأن التطفيف فجور والايفاء بر وقيل ردع عن التكذيب فلا تكرر ﴿إِنَّ كِتَابَ الْاَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ وَمَا اُذْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ الكلام نحو ما صرفي نظيره بيد أنهم اختلفوا في عليين على وجه آخر غير اختلافهم في سجين فقال غير واحد هو علم لديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء القليل منقول من جمع على فميل من الملو كسجين من السجن سمي بذلك أما لانه سبب الارتفاع الى أعلى درجات الجنان أو لانه مرفوع في السماء السابعة أو عند قائمة العرش اليمنى مع الملائكة المقربين عليهم السلام تعظيماً له وقيل هو المواضع العلية واحده على وكان سيئه أن يقال عليه كما قالوا للفرقة عليه فلما حذفوا التاء عوضوا عنها بالجمع بالواو والنون وحكى ذلك عن أبي الفتح بن جني وقيل هو وصف للملائكة ولذلك جمع بالواو والنون وقال الفراء هو اسم موضوع على صيغة الجمع ولا واحد له من لفظه كمشرين وثلاثين والعرب اذا جمعت جمعا ولم يكن له بناء واحد ولا تشبيه أطلقوه في المذكر والمؤنث بالواو والنون ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ صفة أخرى لكتاب أي يحضرونه على أن يشهد من الشهود بمعنى الحضور وحضوره كناية عن حفظه في الخارج أو يشهدون بما فيه يوم القيامة على أنه من الشهادة وعلى الوجهين المراد بالمقربين جمع من الملائكة عليهم السلام كذا قالوا. وأخرج عبد بن حميد عن طريق خالد بن عريرة وأبي عجيل ان ابن عباس سأل كعبا عن هذه الآية فقال ان المؤمن يحضره الموت ويحضره رسل ربه عز وجل فلاهم يستطيعون ان يؤخروه ساعة ولا يعجلوه حتى تجيء ساعته فاذا جاءت ساعته قبضوا نفسه فدفعوه الى ملائكة الرحمة فأروه ماشاء الله تعالى أن يروه من الخير ثم عرجوا بروحه الى السماء فيشيعه من كل سماء مقربوها حتى ينتهوا به الى السماء السابعة فيضمونه بين أيديهم ولا ينتظرون به صلاتكم عليه فيقولون اللهم هذا عبدك فلان قبضنا نفسه ويدعون له بما شاء الله تعالى ان يدعوا له فنحن نحب أن نشهدنا اليوم كتابه فينشر كتابه من تحت العرش فيثبتون اسمه فيه وهم شهود فذلك قوله تعالى كتاب مرقوم يشهده المقربون وسأله عن قوله تعالى ان كتاب الفجار الآية فقال ان العبد الكافر يحضره الموت ويحضره رسل ربه سبحانه فاذا جاءت ساعته قبضوا نفسه فدفعوه الى ملائكة العذاب فأروه ماشاء الله تعالى ان يروه من الشر ثم حملوا به الى الارض السفلى وهو سجين وهي آخر سلطان ابليس فاثبتوا كتابه فيها الحديث وفي بعض الاخبار ما ظاهره ان نفس العمل يكون في سجين ويكون في عليين فقد أخرج ابن المبارك عن صحرت بن حبيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الملائكة يرفعون اعمال العبد من عباد الله تعالى يستكثرونه ويزكونه حتى يبلغوا به الى حيث شاء الله تعالى من سلطانه فيوحى الله تعالى اليهم انكم حفظة على عمل عبدي وأنا رقيب على ما في نفسه ان عبدي هذا لم يخالص لي عمله فاجملوه في سجين ويصعدون بعمل العبد يستقلونه ويستحقرونه حتى يبلغوا به الى حيث شاء الله تعالى من سلطانه فيوحى الله تعالى اليهم انكم حفظة على عمل عبدي وأنا رقيب على ما في نفسه ان عبدي هذا أخلص لي عمله فاجملوه في عليين وبأذني تأويل يرجع الى ما تضمنته الآية فلا تغفل وقوله تعالى ﴿إِنَّ الْاَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ شروع في بيان محاسن أحوالهم اثر بيان حال كتابهم والجملة مستأنفة استثنافا بياناً كأنه قيل هذا حال كتابهم فما حالهم فأجيب بما ذكر أي انهم لفي نعيم عظيم ﴿عَلَى الْاَرَائِكِ﴾ أي على الاسرة في الحال وقد تقدم تمام الكلام فيها ﴿يَنْظُرُونَ﴾ أي الى ما شاؤا من رغائب مناظر الجنة وما تحجب الخجال بأبصارهم وقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد الى

ما أعد الله تعالى لهم من الكرامات وقال مقاتل إلى أهل النار أعدائهم ولم يرتضه بعض ليكون ما في آخر السورة تأسباً وقيل ينظر بعضهم إلى بعض فلا يجيب حبيب عن حبيبه وقيل النظر كناية عن سلب النوم فكانه قيل لا ينامون وكأنه لدفع توهم النوم من ذكر الأرائك المعدة للنوم غالباً وفيه إشارة إلى أنه لا نوم في الجنة كما وردت به الأخبار لما فيه من زوال الشعور وغفلة الحواس إلى غير ذلك مما لا يناسب ذلك المقام وعليه يكون قوله سبحانه ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴾ أي بهجة النعيم ورونقه لنفي ما يوهمه سلب النوم من الضمف وتغير بهجة الوجه كما في الدنيا وهو وجه لا يعرف فيه الناظر نضرة التحقيق والحطاب في تعرف لكل من له حظ من الحطاب للايدان بأن ما لهم من آثار النعمة وأحكام البهجة بحيث لا يختص براه دون راء وقرأ أبو جعفر وابن أبي اسحق وطلحة وشيبة ويعقوب تعرف مبنياً للمفعول نضرة رفماً على النيابة عن الفاعل وجوز بعضهم أن يكون نائب فاعل تعرف ضمير الإبرار وفي وجوههم نضرة مبتدأ وخبر كأنه قيل تعرف الإبرار بأن في وجوههم نضرة النعيم وليس بشيء كما لا يخفى وقرأ زيد بن علي كذلك إلا أنه قرأ يعرف بالياء إذ تأنيث نضرة مجازي ﴿ يَسْقُونَ مِنْ رَحِيقٍ ﴾ قال الخليل هو أجود الخمر وقال الاخفش والزجاج الشراب الذي لا غش فيه قال حسان

يسقون من ورد اليريس عليهم ❦ بردى يصفق بالرحيق السلسل

وفسر ههنا بالشراب الخالص مما يكدر حتى الغول ﴿ مَخْتُومٌ خِتَامُهُ مِسْكٌ ﴾ أي مختوم أوانيه وأكوابه بالمسك مسكان الطين كما روى عن مجاهد وذكر أن طين الجنة مسك ممجون والظاهر أن الختام ما يختم به وإن الختم على حقيقته وكذا أسناده وقولنا مختوم أوانيه الخ ليس لان الاسناد مجازي بل لان الختم على الشيء أعنى الاستيقاق منه بالختم طريقه ذلك وختم أعناه به واطهاراً لكرامة شاربها وكان ذلك بما هو على هيئة الطين ليكون على النهج المؤلف ويجوز أن يكون ذلك تمثيلاً لجمال نفاسته والا فليس ثمة غبار أو ذباب أو خيانة ليصان عن ذلك بالختم وقال ابن عباس وابن جبير والحسن المعنى خاتمته ونهايته رائحة مسك إذا شرب أي يجد شاربها ذلك عند انتهاء شربه وكان ذلك لان اشتغال الذائقة بجمال لذته تمنع عن ادراك الرائحة فاذا انقطع الشرب أدركت والا فالرائحة لا تختص بالانتهاء وقيل المعنى ذونهاية نهايته وما يبقى بعد شربه ويشرب في أوانيه مسك وليس كشراب الدنيا نهايته وما يرسب في انائه طين أو نحوه وهو كما ترى وقيل ان الرحيق يمزج بالكافور ويختم مزاجه بالمسك فالمعنى ذو ختم ختام مزاجه مسك وهو مع كونه خلاف الظاهر وفيما بعد ما يعمده في الجملة يحتاج إلى نقل يعول عليه وقرأ على كرم الله تعالى وجهه والنخعي والضحاك وزيد بن علي وأبو حنيفة وابن أبي عمير والكسائي خاتم بالف بعد الحاء وفتح التاء والمراد ما يختم به أيضاً فان فاعلاً بالفتح يكون أيضاً اسم آلة كالقالب والطابع لكنه سماعي وعن الضحاك وعيسى وأحمد بن جبير الانطاكى عن الكسائي كسر التاء أي آخره رائحة مسك والجمال السابقة أعنى على الأرائك ينظرون وتعرف في وجوههم الخ ويسقون الخ قيل أحوال مترادفة وقيل مستأنفات كجملة ان الإبرار الخ وقعت أجوبة للسؤال عن حالهم والفصل للتنبيه على استقلال كل في بيان كرامتهم ﴿ وَفِي ذَلِكَ ﴾ إشارة إلى الرحيق وهو الأنسب بما بعد أو إلى ما ذكر من أحوالهم وما فيه من معنى البعد للأشعار بملو مرتبته وبعد منزلته وجوز أن يكون لكونه في الجنة والجبار والمجرور متعلق بقوله تعالى ﴿ فَلْيَسْتَأْذِنُوا ﴾ وقدم للاهتمام أو للحصر أي فليستأفئس

وليرغب فيه لا في خور الدنيا أولاً في غيره من ملاذها ونعيمها **(الْمُتَنَافِسُونَ)** أى الراغبون في المبادرة الى طاعة الله تعالى وقيل أى فليعمل لاجله أى لاجل تحصيله خاصة والفوز به العاملون كقوله تعالى لمثل هذا فليعمل العاملون أى فليستبق في تحصيل ذلك المتسابقون وأصل التنافس التغلب في الشيء النفيس وأصله من النفس لعزتها قال الواحدى نفست الشيء أنفسته نفاسة والتنافس تفاعل منه كان كل واحد من الشخصين يريد ان يستأثر به وقال البغوى اصله من الشيء النفس الذى تنحصر عليه نفوس الناس ويريد به كل أحد لنفسه ويقال نفست عليه بالشيء أنفست نفاسة اذا بخلت به عليه وفي مفردات الراغب المنافسة مجاهدة النفس للتشبه بالافاضل والحقوق بهم من غير ادخال ضرر على غيره وهي بهذا المعنى من شرف النفس وعلو الهمة والفرق بينها وبين الحسد اظهر من ان يخفى واستشكل ذلك التعلق بانه يلزم عليه دخول العاطف على العاطف اذ التقدير فليتنافس في ذلك وأجيب بانه بتقدير القول أى ويقولون لشدة التلذذ من غير اختيار في ذلك فليتنافس المتنافسون أى في الدنيا على معنى أنه كان اللائق بهم أن يتنافسوا في ذلك وقيل الكلام على تقدير حرف الشرط والفاء واقعة في جوابه أى وان أريد تنافس فليتنافس في ذلك المتنافسون وتقدير الظرف ليسكون عوضاً عن الشرط في شغل حيزه وهو أنفس مما تقدم وقوله تعالى **(وَمِنْ آجِهٍ مِنْ تَسْنِيمٍ)** عطف على ختامه مسك صفة لأخرى لرحيق مثله وما بينهما اعتراض مقرر لنفاسه وتسنيم علم لعين بعينها في الجنة كما روى عن ابن مسعود وعن حذيفة البليان أنه قال عين من عدن سميت بالتسنيم الذى هو مصدر سئم اذا رفعه إما لان شرابها أرفع شراب في الجنة على ما روى عن ابن عباس أو لانها تأتيهم من فوق على ما روى عن الكلبي وروى أنها تجرى في الهواء متسمة فتصب في أوانيهم وقيل سميت بذلك لرفعة من يشرب بها ولا يلزم من كونه علماً لما ذكر منع صرفه للعامة والتأنيث لان العين مؤنثة إذ هي قد تذكر بتأويل الماء أو نحوه ومن بيانية أو تبعيضية أى ما يمزج به ذلك الرحيق هو تسنيم أى ماء تلك العين أو بعض ذلك وجوز أن تكون ابتدائية **(عَيْنًا)** نصب على المدح وقال الزجاج على الحال من تسنيم قيل وصح كونه حالاً مع جموده لوصفه بقوله تعالى **(يَشْرَبُ بِهَا الْمُقْرَبُونَ)** أو لتأويله بمشتق كجارية وأنت تعلم ان الاشتقاق غير لازم والباه اما زائدة أى يشربها أو بمعنى من أى يشرب منها أو على تضمين يشرب معنى يروى أى يشرب راوين بها أو يروى بها شاربين المقربون أو صلة الالتذاذ أى يشرب ملتذا بها أو الامتزاج أى يشرب الرحيق بمتزجا بها أو الاكتفاء أى يشرب مكثفين بها أو وجه ذكرها وفي كونها صلة الامتزاج مقال فقد قال ابن مسعود وابن عباس والحسن وأبو صالح يشرب بها المقربون صرفاً وتمزج للابرار وذهب الجمهور ان الابرار هم أصحاب اليمين وأن المقربين هم السابقون كأنهم إنما كان شرابهم صرف التسنيم لا اشتغالهم عن الرحيق المختوم بحجة الحى القيوم فهى الرحيق التى لا يقاس بها رحيق والمدامة التى تواسى على شربها ذوقوا الاذواق والتحقيق

على نفسه فليكن من ضاع عمره * وليس له منها نصيب ولا سهم

وقال قوم الابرار والمقربون في هذه السورة بمعنى واحد يشمل كل من نعم في الجنة وقوله تعالى **(إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا)** الخ حكاية لبعض قبائح مشركى قريش أبى جهل والوليد بن المغيرة والعماس بن وائل وأشياهم حبه بها تمهيدا لذكر بعض أحوال الابرار في الجنة **(كَانُوا)** أى في الدنيا كما قال قتادة **(مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا بَوضوح كون)** كانوا يستهزؤن بفقرائهم كعمار وصهيب وخباب وبلال وغيرهم من الفقراء وفي البحر روى أن علياً كرم الله

تعالى وجهه ورجما من المؤمنين معه مروا بجمع من كفار مكة فضحكوا منهم واستخفوا بهم فنزلت ان الذين أجزموا الخ قبل ان يصل على كرم الله تعالى وجهه الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وفي الكشاف حكاية ذلك عن المنافقين وانهم قالوا ربنا اليوم الاصلح أى سيدنا يذنون علينا كرم الله تعالى وجهه وانما قالوه استهزاء ولعل الاول أصح وتقديم الجار والمجرور اما للقصر اشمارا بفاية شناعة ما فعلوا أى كانوا من الذين آمنوا يضحكون مع ظهور عدم استحقاقهم لذلك على مناج قوله تعالى أفي الله شك لمرعاة الفواصل (وَأَذِمُّوا) أى المؤمنون (بِهِمْ) أى بالذين أجزمواهم في أذيتهم (يَتَعَامَرُونَ) أى يغمز بعضهم بعضا ويشيرون باعينهم استهزاء بالمؤمنين وارجاع ضمير مروا للمؤمنين وضميرهم للمجرمين هو الاظهر والوفق بحكاية سبب النزول واستظهر ابو حيان العكس معملا له بتناسق الضمائر (وَإِذَا انْقَلَبُوا) أى المجرمون ورجعوا من مجالسهم (إلى أهلهم انقلبوا فكبين) ملتذنين باستخفائهم بالمؤمنين وكان المراد بذلك الاشارة الى انهم يعدون صنيهم ذلك من أحسن ما اكتسبوه في غيبتهم عن اهلهم أو الى ان له وقعا في قلوبهم ولم يفعلوه مراعاة لاحد وانما فعلوه لحظ أنفسهم وقيل فيه اشارة الى انهم كانوا لا يفعلون ذلك بما رأى من المارين بهم ويكتفون حينئذ بالتعاضد وقرأ الجمهور فاكبين بالانف قيل ها بمعنى وقيل فكبين أشرين وقيل فرحين وفاكبين قيل متفكبين وقيل ناعمين وقيل مادحين (وَإِذَا رَأَوْهُمْ) واذا رأوا المؤمنين أينما كانوا (قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَأَصْحَابُونَ) يمتنون جنس المؤمنين مطلقا لخصوص المرتئين منهم والتاكيد لمزيد الاعتناء بسبهم (وَمَا أَرْسَلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ) جملة حالية من ضمير قولوا أى قالوا ذلك والحال انهم ما أرسلوا من جهة الله تعالى على المؤمنين موكلين بهم بحفظون عليهم أحوالهم ويهيمون على أعمالهم ويشهدون برشدكم وضلالهم وهذا تهكم واستهزاء بهم واشعارا بان ما جرتوا عليه من القول من وطائف من أرسل من جهته تعالى وجوز أن يكون من جملة قول المجرمين والاصل وما أرسلوا علينا حافظين الا أنه قيل عليهم نقلا بالمعنى على نحو قال زيد لفلان كذا وغرضهم بذلك انكار صد المؤمنين اياهم عن الشرك ودعائهم الى الايمان (فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا) أى الممهوردون من الفقراء (من الكفار) أى من الممهوردين وجوز التعميم من الجانبين (يضحكون) حين يرونهم اذلاء مغلوبين قد غشيتهم فنون الهوان والصغار بعد العز والكبر ورهقهم ألوان العذاب بعد التمتع والترفة والظرف والجار والمجرور متعلقان بيضحكون وتقديم الجار والمجرور قيل للقصر تحقيقا للمقابلة أى واليوم هم من الكفار يضحكون لا الكفار منهم كما كانوا يفعلون في الدنيا وقوله تعالى (عَلَى الْأَرْضِ كَيْفَ يَنْظُرُونَ) حال من فاعل يضحكون أى يضحكون منهم ناظرين اليهم والى ما هم فيه من سوء الحال وقيل يفتح للكفار باب الى الجنة فيقال لهم هلم هلم فاذا وصلوا اليها أغلق دونهم يفعل ذلك مرارا حتى ان أحدهم يقال له هلم هلم فما يأتي من اياه ويضحك المؤمنون منهم وتمقب بأن قوله تعالى (هَلْ تُؤَبُّ السُّكَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) يأباه فانه صريح في ان ضحك المؤمنين منهم جزء لضحكهم منهم في الدنيا فلا بد من المجانسة والمشكلة حتما والحق انه لا آباء كما لا يخفى والثوب والاثابة المجازاة ويقال ثوبه وأتابه اذا جازاه ومنه قول الشاعر

سأجزيك أو يجزيك عنى مثوب * وحسبك ان يثنى عليك وتحمدى

وظاهر كلامهم اطلاق ذلك على المجازاة بالخير والشر واشتهر بالمجازاة بالخير وجوز حمله عليه هنا على ان المراد التهكم كما قيل به في قوله تعالى فيشرهم بمذاب ألم وذق انك أنت العزيز الكريم كأنه تعالى يقول للمؤمنين هل آتبنا هؤلاء على ما كانوا يفعلون كما آتبناكم على ما كنتم تعملون فيكون هذا القول زائدا

في سرورهم لما فيه من تعظيمهم والاستخفاف باعدائهم والجملة الاستفهامية حينئذ معمولة لقول محذوف وقع حالا من ضمير يضحكون أو من ضمير ينظرون أي يضحكون أو ينظرون مقولا لهم هل ثوب الخ ولم يتعرض لذلك الجمهور وفي البحر الاستفهام لتقرير المؤمنين والمسنى قد جوزى الكفار ما كانوا الخ وقيل هل ثوب متعلق بينظرون والجملة في موضع نصب به بعد اسقاط حرف الجر الذي هو الى انتهى وما مصدرية أو موصولة والعايد محذوف أي يفعلونه والكلام بتقدير مضاف أي ثواب أوجزاه ما كانوا الخ وقيل هو بتقدير باء السببية أي هل ثوب الكفار بما كانوا وقرأ التحويان وحمة وابن محيصن بادغام اللام في التاء والله تعالى أعلم

سورة الانشقاق

ويقال سورة انشقت وهي مكية بلا خلاف وآياتها ثلاث وعشرون آية في البصري والشامي وخمس وعشرون في غيرها ووجه مناسبتها لما قبلها يعلم مما نقلناه عن الجلال السيوطي فيها قبل وأوجز بعضهم في بيان وجه ترتيب هذه السور الثلاث فقال ان في انفطرت التعريف بالحفظة الكاتين وفي المطلفين مقر كتبهم وفي هذه عرضها في القيامة

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ) أي بالفهم كاروي عن ابن عباس وذهب اليه الفرام والزيج كما في البحر ويشهد له قوله تعالى ويوم تنشق السماء بالفهم فالقرآن يفسر بعضه بعضا وقيل تنشق لهول يوم القيامة لقوله تعالى وانشقت السماء فهي يومئذ واهية وبحث فيه بانه لا ينافي ان يكون الانشقاق بالفهم وأخرج ابن أبي حاتم عن علي كرم الله تعالى وجهه انها تنشق من الحجر وفي الآثار انها باب السماء وأهل الهيئة يقولون انها نجوم صفار متقاربة جدا غير متميزة في الحس ويظهر ذلك ظهورا بينا لمن نظر اليها بالارصاد ولا مناقاة على ما قيل من ان المراد بكونها باب السماء ان مهب الملائكة عليهم السلام ومصعدهم من جهتها وذلك بجامع كونها نجوما صفارا متقاربة غير متميزة في الحس وخبر ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أرسل معاذا الى أهل اليمن فقال له يا معاذ انهم سائلوك عن الحجر فقل هي لعاب حية تحت العرش ومنه قيل انها في البحر المكفوف تحت السماء لا يكاد يصح والقول المذكور لا ينبغي ان يحكى الا لئيبه على حاله وقرأ عبيد بن عقييل عن أبي عمرو انشقت وكذا ما بعد من نظائره بانها كسرا في الوقف وحكى عنه أيضا الكسر أبو عبيد الله بن خالويه وذلك لغة طي على ما قيل وعن أبي حاتم سمعت اعرابيا في حيا في بلاد قيس يكسر هذه التاء أي تاء التأنيث اللاحقة للفعل وهي لغة ولعل ذلك لان الفواصل قد تجرى مجرى القوافي فكما ان هذه التاء تكسر في القوافي كما في قول كثير عزة من قصيدة

وما أنا بالداعي لذة بالردى ❦ ولا شامت ان قيل عزة ذلت

الى غير ذلك من أبيات تلك القصيدة تكسر في الفواصل واجراء الفواصل في الوقف مجرى القوافي مبيع معروف كقوله تعالى اظنوننا والرسولا في سورة الاحزاب وحمل الوصل على حالة الوقف موجود أيضا في الفواصل (وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا) أي استتمت له تعالى يقال أذن اذا سمع قال الشاعر

صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به ❦ وان ذكرت بشر عذم أذنوا

وقال قنعب ان يأذنوا ربية طاروا بها فرحا ❦ وما هم أذنوا من صالح دفنوا

والاستماع هنا مجاز عن الانقياد والطاعة أي انقادت لتأثير قدرته عز وجل حين تملقت ارادته سبحانه